آية التطهير

فوق الشبهات

تأليف

حسن عبد الله علي العجمي

دار العلوم

آية التطهير

فوق الشبهات

جميع الحقوق محفوظة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

المكتب والمستودع :بئر العبد ـ مقابل البنك اللبناني الفرنسي
ص .ب:24/140 ـ هاتف:01/541650 ـ تلفاكس:01/545182 ـ موبايل:03473919
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

آية التطهير

فوق الشبهات

تأليف
حسن عبدالله علي العجمي

دار العلوم
للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

المدخل

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف البرية أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين، وعلى من تبع نهج محمد وآله إلى قيام يوم الدّين، وبعد:

أقف هذه المرّة مع كتيّب يحمل عنوان «**آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة**» لأضع ردّاً على بعض ما ورد في مضمونه من شبهات ومغالطات، وهذا الكتيّب كتب على غلافه والصفحة الأولى منه أنّه من تأليف «**الدكتور عبد الهادي الحسيني**»، وهو اسم مستعار، فالمؤلف الحقيقي له هو: «**طه حامد الدليمي**»، لأنّ مضمون هذا الكتيّب موافق لما أورده الدليمي في كتابه «**العصمة من منظور القرآن الكريم**»، فيما يخص استدلال الشيعة بآية التطهير على عصمة عترة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله».

ولقد حاول الدليمي في هذا الكتيّب أن يرد استدلال الشيعة بآية التطهير على عصمة أصحاب الكساء، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام»، كما حاول أن يثبت فيه أنّ الآية نزلت في زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» خاصة، وهو خلاف ما يذهب إليه الشيعة وجمهور واسع من علماء أهل السنة من كونها نزلت في أصحاب الكساء «عليهم

السلام»، وفيه العديد من المغالطات والشبهات، فكتبت هذا الرّد لنقد ما ورد في هذا الكتيّب مما هو مجانب للحقيقة والصواب، فقلت مستمداً العون من الله العليِّ القدير:

هل الآية المعروفة بآية التطهير آية أم جزء من آية؟

تحت عنوان «آية التطهير» ادّعى الدليمي أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] جزءٌ من آية، وليس بآية مستقلة لوحدها، ووصف من أطلق عليه آية بالتدليس فقال:

(آية التطهير وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ أقوى ما احتجوا به من آيات القرآن، ويلاحظ أنها ليست آية كاملة وإنما هي تتمة الآية التي أولها خطاب لأمهات المؤمنين «رضي الله عنهن» بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ الله...﴾، ولذلك فتسميتها بآية التطهير تدليس، لأنها ليست بآية وإنما هي جزء منها)[2].

أقول:

لقد قامت الأدلة على أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ نزل لوحده مستقلاً، ولا يوجد دليلٌ واحدٌ يمكن من خلاله إثبات نزوله بمعيّة ما قبله وما بعده من كلامه سبحانه، وقد أطلق

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة صفحة ٤.

على هذا المقطع من قول الحق تعالى بأنّه آية جماعة من الصحابة، وذلك ضمن روايات صحيحة وردت عنهم رواها علماء أهل السنة في مصنفاتهم وصححوها، فمن جملة من صرّح بذلك أم المؤمنين أم سلمة «رضي الله عنها»، ومن رواياتها في ذلك ما رواه إمام الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده فقال:

(حدثنا عبد الله بن نمير، قال: حدثنا عبد الملك - يعني ابن أبي سليمان -، عن عطاء بن رباح، قال: حدثني من سمع أم سلمة تذكر **أنّ النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة، فدخلت عليه فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري، قالت: وأنا أصلّي في الحجرة، فأنزل الله عزّ وجل هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.**

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيرا، اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيرا».

قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟!

قال: «إنّك إلى خير، إنّك إلى خير».

قال: قال عبد الملك: وحدثني أبو ليلى عن أم سلمة مثل حديث عطاء سواء.

وقال عبد الملك: وحدثني داود بن أبي الجحاف عن شهر ابن حوشب عن أم سلمة بمثله سواء)[1].

وما رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» فقال:

(حدثنا فهد، حدثنا عثمان ابن أبي شيبة، حدثنا جرير ابن عبد الحميد، عن الأعمش، عن جعفر بن عبد الرّحمن البجلي، عن حكيم بن سعد، عن أم سلمة قالت:

نزلت هذه الآية في رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» وعلي وفاطمة وحسن وحسين «عليهم السلام»، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾)[2].

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤٤/١١٩، رواية رقم: ٢٦٥٠٨، وحكم الشيخ شعيب الأرنؤوط على الطريق الثاني لهذا الحديث - وهو الذي رواه عبد الملك عن ابي ليلى عن أم سلمة - بالصحة كذلك صححه الشيخ حمزة ة أحمد الزين (انظر مسند أحمد، ١٨/٣٤٤، رواية رقم: ٢٦٣٨٨، طبعة دار الحديث بالقاهرة بتحقيق أحمد محمد شاكر وحمزة أحمد الزين.
قلت: وسنده الثاني صحيح أو حسن، وهو الذي رواه عبد الملك، عن داود ابن ابي عوف عن شهر بن حوشب عن ام سلمة، فداود، وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وقال عنه النسائي: (لا بأس به)، وكان سفيان الثوري يوثقه ويعظمه، وقال عنه ابو حاتم: (صالح الحديث)، وذكره ابن حبّان في الثقات، وقال: (يخطىء)، نعم هو مرمي بالتشيّع، بل وصفه بعضهم بأنه غال في التشيّع، وما لشيء إلا لأنّ عامة ما يرويه من روايات في فضائل اهل البيت «عليهم السلام»، وهذا كاف عندهم لرمي الراوي بالتشيّع، بل وبالغلو فيه، وإن لم يكن في الحقيقة والواقع كذلك، وشهر ابن حوشب قد تكلم فيه بعضهم، لكن الشيخ أحمد محمد شاكر يقول انّ كلامهم فيه بغير حجة وانّ الرجل ثقة، ففي تعليقة له على الرّواية رقم (٩٧) من مسند احمد وقد وقع في سندها «شهر» قال: (إسناده صحيح ... شهر بفتح الشين وسكون الهاء: هو ابن حوشب، وهو ثقة، تكلم فيه بعضهم بغير حجة)، وعليه فهذا السند صحيح وإن تنازلنا عن الصحة فهو حسن لذاته.

(٢) شرح مشكل الآثار ٢/٢٣٦، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (جعفر بن عبد الرّحمن البجلي: هو ابو عبد الرّحمن الأنصاري، روى عن أم طارق وحكيم ابن سعد وروى عنه الأعمش لقيه بواسط، وذكره البخاري في التاريخ الكبير ٢/١٩٦، وابن ابي حاتم ٢/٤٨٣، ولم يأثرا عنه جرحا ولا تعديلا غير انّ ابي حاتم قال: سألت أبي عنه فقال: هو شيخ للأعمش، وذكره ابن حبّان في الثقات ٦/١٣٤، وقال: شيخ كان بواسط، قلت: وباقي رجال السند=

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في «المستدرك على الصحيحين» فقال:

(حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار، حدثنا شريك ابن أبي نمر، عن عطاء ابن يسار، عن أم سلمة «رضي الله عنها» أنها قالت:

في بيتي نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قالت: فأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» إلى علي وفاطمة والحسن والحسين «رضوان الله عليهم أجمعين» فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟! قال: «إنك إلى خير، وهؤلاء أهل بيتي، اللهم أهلي أحق».

ثم قال الحاكم النيسابوري:

(هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)[1].

ومنها: ما رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» فقال: (حدثنا فهد، حدثنا أبو غسان، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد، عن أم سلمة قالت:

نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟! فقال: أنت على خير، إنك من أزواج النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم»، وفي البيت علي وفاطمة

=ثقات من رجال الشيخين غير حكيم بن سعد فقد روى له البخاري في الأدب والنسائي وهو ثقة).

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/٤٥١، رواية رقم: ٣٥٥٨.

والحسن والحسين)[1].

ومنها: ما رواه الطحاوي أيضاً في «شرح مشكل الآثار» فقال: (وما قد حدثنا فهد، حدثنا سعيد بن كثير بن عفير، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن عمرة الهمدانية قالت:

أتيت أم سلمة فسلّمت عليها، فقالت: من أنت؟ فقلت: عمرة الهمدانية، فقالت عمرة: يا أم المؤمنين أخبريني عن هذا الرجل الذي قتل بين أظهرنا فمحب ومبغض- تريد علي بن أبي طالب -، قالت أم سلمة: أتحبينه أم تبغضينه؟! قالت: ما أحبه ولا أبغضه! فقالت: أنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ...﴾ إلى آخرها، وما في البيت إلاّ جبريل ورسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» وعلي وفاطمة وحسن وحسين «عليهم السلام» فقلت: يا رسول الله أنا من أهل البيت؟! فقال: «إنّ لك عند الله خيراً» فوددت أنه قال نعم، فكان أحب إليَّ مما تطلع عليه الشمس وتغرب)[2].

(١) شرح مشكل الآثار ٢/٢٤١، رواية رقم: ٧٦٨، وعلق الشيخ شعيب الأرنؤوط على هذه الرّواية بقوله: (عطية - وهو ابن سعيد العوفي - ضعيف ، لكن حديثه حسن في الشواهد، وهذا منها) .

(٢) شرح مشكل الآثار٢/٢٤٤رواية رقم: ٧٧٢، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط معلقاً على هذه الرّواية : (ابن لهيعة سيء الحفظ وعمرة لم يرو عنها غير أبي معاوية البجلي - وهو عمار بن معاوية الدهني - وباقي رجاله ثقات).

قلت: قال الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقة له على الحديث رقم: (١٠) من سنن الترمذي بتحقيقه: (وابن لهيعة -بفتح اللام وكسر الهاء- هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة الغافقي، أبو عبد الرحمن المصري القاضي الفقيه، وهو ثقة صحيح الحديث، وقد تكلم فيه كثيرون بغير حجة من جهة حفظه، وقد تتبعنا كثيراً من حديثه وتفهمنا كلام العلماء فيه فترجح لدينا أنه صحيح الحديث، وأنّ ما قد يكون في الرّواية من الضعف إنما هو ممن فوقه أو ممن دونه وقد يخطئ، وهو كما يخطئ كل عالم وكل راو .

وروى أبو داود عن أحمد بن حنبل قال: ومن كان مثل ابن لهيعة في =

وصرّح من الصحابة بأنّه آية سعد بن أبي وقاص، أخرج روايته الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» فقال تحت عنوان (باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله «عليه السلام» في المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ من هم؟):

(حدثنا الربيع المرادي، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا حاتم ابن إسماعيل، حدثنا بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال:

لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً «عليهم السلام» فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»)[1].

وصرّح بذلك أيضاً الصحابي عمر بن أبي سلمة أخرج روايته الترمذي في سننه فقال:

(حدثنا قتيبة، حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني، عن يحيى بن عبيد، عن عطاء بن أبي رباح، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» قال:

نزلت هذه الآية على النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم»

=حديثه وضبطه وإتقانه؟ وقال سفيان الثوري: عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع).

فطعن الشيخ شعيب الأرنؤوط في سند الحديث لوجود ابن لهيعة فيه، لأنّه سيء الحفظ مردود، بما ذكرناه من كلام الشيخ أحمد محمد شاكر، أمّا عمرة الهمدانية فهي وإن لم يرو عنها إلا عمار بن معاوية الدهني إلا أن ابن حبّان ذكرها في الثقات ٥/٢٨٨، ترجمة رقم: ٤٨٨٠، بعنوان (عمرة بنت الشافع)، ووثقها العجلي في معرفة الثقات ٢/٤٥٧، رقم الترجمة ٢٣٤٥ بعنوان (عمرة الهمدانية)، وكيف كان فإن سند هذه الرّواية معتبر، ومورد الشاهد في الرّواية مما تابع عمرة عليه جماعة وردت رواياتهم من طرق صحيحة وأخرى حسنة .

(١) شرح مشكل الآثار ٢/٢٣٥، رواية رقم:٧٦١، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح).

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أم سلمة فدعا النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟! قال: «أنت على مكانك وأنت إلى خير»[1].

وصرّح بذلك الصحابي واثلة بن الأسقع، أخرج روايته أحمد بن حنبل في مسنده فقال:

(حدثنا محمد بن مصعب، قال: حدثنا الأوزاعي، عن شداد أبي عمارة، قال:

دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا عليّاً فلما قاموا قال لي: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم»؟ قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة «رضي الله عنها» أسألها عن علي، قالت: توجه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» فجلست أنتظر حتى جاء رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» ومعه علي وحسن وحسين «رضي الله عنهم» آخذ كل واحد منهما بيده، حتى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءً، ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق»[2].

(١) سنن الترمذي ٦٦٣/٥ رواية رقم: ٣٧٨٧، وقال الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي ٥٤٣/٣ رواية رقم: ٣٧٨٧: (صحيح)، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٢٤٣/٢-٢٤٤ رواية رقم: ٧٧١، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (سنده حسن).

(٢) مسند أحمد٢٨/١٩٥، رواية رقم: ١٦٩٨٨، وعلق الشيخ شعيب الأرنؤوط=

وصرّح بذلك الصحابي أبو سعيد الخدري، أخرج روايته الطبري في تفسيره فقال:

(حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي، قال: حدثنا مندل، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله:

نزلت هذه الآية في خمسة؛ فيَّ وفي علي «رضي الله عنه»، وحسن «رضي الله عنه»، وحسين «رضي الله عنه»، وفاطمة «رضي الله عنها» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾)[1].

فتبين من هذه الرّوايات أنّ قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** آية مستقلّة لوحدها، وهنا لنا أن نسأل الدليمي ونقول له: هل هؤلاء الصحابة بمن فيهم أم المؤمنين أم سلمة «رضوان الله تعالى عليها» الذين أطلقوا على قوله تعالى هذا آية مدلسون؟! أم ماذا؟!

من هم أهل البيت في آية التطهير؟

قال الدليمي:

(وعلى كل حال فقد قالوا: إنّ التطهير وإذهاب الرجس معناه العصمة من الخطأ والسهو والذنب، فأهل البيت معصومون من ذلك كلّه، ومقصودهم بأهل البيت أشخاصاً

=على هذه الرّواية بقوله: (حديث صحيح)، وقال عنه الشيخ حمزة أحمد الزين: (إسناده حسن) (مسند أحمد ١٣/ ٢٢٤، رواية رقم: ١٦٩٢٥، طبعة دار الحديث، القاهرة).

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٦.

معينين أولهم سيدنا علي ثم فاطمة والحسن والحسين «رضي الله عنهم» وليس جميع أهل البيت)[1].

قلت:

نعم إنّ آية التطهير فيها دلالة على عصمة المخاطبين بها، من الذنب والسهو والخطأ بل والنسيان أيضاً، فهم معصومون من كل ذلك، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً عند الرّد على شبهاته حول دلالة الآية على العصمة، أمّا أنّ مقصود الشيعة بأهل البيت في آية التطهير هم من ذكر، فهو ما دلّت عليه الرّوايات الصحيحة والمعتبرة الواردة من طرق أهل السنة، والتي تدل على أنّ الآية نزلت في هؤلاء، وأنّ النبي «صلى الله عليه وآله» قد خصصها بهم دون غيرهم من أقربائه أو نسائه، وقد مرّ عليك بعضاً منها، وأنقل بعضاً آخر منها:

أخرج النسائي في كتابه «خصائص علي»، فقال:

(أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخي، وهشام بن عمّار الدمشقي، قالا: حدثنا حاتم، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال:

أمر معاوية سعداً! فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟! فقال: أنا ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» فلن أسبّه، لأن يكون لي واحدة منها أحب إليَّ من حمر النعم؛ سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» يقول له وخلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم»: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي؟».

(١) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة صفحة ٤.

وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فتطاولنا إليها، فقال: «ادعوا لي علياً»، فأتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه .. ولمّا نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»[1].

وأخرج الترمذي في سننه فقال:

(حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان، عن زبيد، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة:

أنّ النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيرا»، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟! قال: «إنك إلى خير»)[2].

وأخرج الآجري في كتابه «الشريعة» فقال:

(وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناجية، قال: حدثنا عمار بن خالد التّمار، قال: حدثنا إسحاق بن يوسف

(١) خصائص علي صفحة ٢٣- ٣٣، رواية رقم: ٩، وقال محقق الكتاب الشيخ أبو إسحاق الحويني الأثري: (إسناده صحيح)، وصححه الداني بن منير آل زهوي أبو عبد الله السلفي، (انظر تصحيحه له في خصائص علي صفحة ٢٦ رواية رقم: ١١، طبعة المكتبة العصرية بصيدا بيروت بتحقيق المذكور).

(٢) سنن الترمذي ٦/١٧٥، رواية رقم: ٣٨٧١، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، وفي الباب عن عمر ابن أبي سلمة، وأنس بن مالك، وأبي الحميراء)، وفي بعض النسخ زيادة (ومعقل ابن يسار، وعائشة)، وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/٥٧٠، رواية رقم: ٣٧٨١.

الأزرق، قال: حدثنا عبد الملك ابن أبي سليمان، عن أبي ليلى الكندي، عن أم سلمة «رضي الله عنها»:

أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» كان في بيتها على منامة له تحته كساء خيبري، فجاءت فاطمة «رضي الله عنها» ببرمة فيها خزيرة، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم»: ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً، فدعتهم، فبينا هم يأكلون إذ نزلت على النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فأخذ النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» الكساء فغشاهم به ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»[1]

وأخرج مسلم في صحيحه فقال:

(حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمّد بن عبد اللّه بن نمير واللفظ لأبي بكر، قالا: حدثنا محمد بن بشر، عن زكريا، عن مصعب بن شيبة، عن صفيّة بنت شيبة، قالت: قالت عائشة:

خرج النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾)[2].

وأخرج أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في «المستدرك على الصحيحين» فقال:

---

(١) الشريعة للآجري ٣/٣٤٣، رواية رقم: ١٧٥٣، وقال محقق الكتاب الوليد بن محمد بن نبيه سيف الناصر: (إسناده صحيح).

(٢) صحيح مسلم ٤/١٨٨٣، رواية رقم: ٢٤٢٤.

(حدثني أبو الحسن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراني، حدثنا جدي، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي، حدثنا محمد بن إسماعيل ابن أبي فديك، حدثني عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، عن إسماعيل بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب، عن أبيه قال:

لما نظر رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» إلى الرحمة هابطة، قال: «ادعوا لي، ادعوا لي» فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال: «أهل بيتي؛ علياً وفاطمة والحسن والحسين» فجيء بهم فألقى عليهم النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» كساءه ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد»، وأنزل الله عزّ وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»[1].

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده فقال:

(حدثنا يحيى بن حمّاد، حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بلج، حدثنا عمرو بن ميمون، قال:

إني لجالس إلى ابن عبّاس إذا أتاه تسعة رهط فقالوا: يا أبا عبّاس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلونا هؤلاء!

قال: فقال ابن عبّاس: بل أقوم معكم.

قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى.

قال: فابتدؤا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا.

قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا في رجل

(١) المستدرك على الصحيحين ١٥٩/٣، رواية رقم: ٤٧٠٩، وقال الحاكم النيسابوري: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

له عشر؛ وقعوا في رجل قال له النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم»: «لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحبّ اللّه ورسوله».

قال: فاستشرف لها من استشرف.

قال: أين علي؟!

قالوا: هو في الرحل يطحن.

قال: وما كان أحدكم ليطحن.

قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر.

قال: فنفث في عينيه ثمّ هزّ الرّاية ثلاثاً، فأعطاها إيّاه فجاء بصفيّة بنت حيي.

قال: ثمّ بعث فلاناً بسورة التّوبة، فبعث عليّاً خلفه فأخذها منه، قال: «لا يذهب بها إلاّ رجلٌ مني وأنا منه».

قال: وقال لبني عمّه: «أيّكم يواليني في الدّنيا والآخرة؟».

قال: وعلي معه جالس فأبوا، فقال علي: أنا أواليك في الدّنيا والآخرة .

قال: «أنت وليي في الدّنيا والآخرة».

قال: فتركه ثمّ أقبل على رجل منهم فقال: «أيّكم يواليني في الدّنيا والآخرة»، فأبوا قال: فقال علي: أنا أواليك في الدّنيا والآخرة.

فقال: «أنت وليي في الدّنيا والآخرة» .

قال: وكان أوّل من أسلم من الناس بعد خديجة.

قال: وأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» ثوبه

فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾...)[1].

وأخرج الطبراني في المعجم الأوسط والصغير فقال:

(حدثنا الحسن بن أحمد بن حبيب الكرماني الطرسوسي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا عمار بن محمد، عن سفيان الثوري، عن داود أبي الجحاف، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري في قوله:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ...﴾ قال: نزلت في خمسة؛ في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين)[2].

وأخرج الحسكاني في «شواهد التنزيل» فقال:

(... حدثونا عن أبي بكر السبيعي، قال: أخبرنا أبو عروبة الحرّاني، قال: حدثنا ابن مصفى، قال: حدثنا عبد الرحيم ابن واقد، عن أيوب بن سيّار، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال:

نزلت هذه الآية على النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» وليس في البيت إلاّ فاطمة والحسن والحسين وعلي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فقال النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم»: «اللهم هؤلاء أهلي»)[3].

(١) مسند أحمد بن حنبل ١/٣٣٠، رواية رقم: ٣٠٢٦، وقال الشيخ أحمد محمد شاكر: (إسناده صحيح).
(٢) المعجم الأوسط ٣/٣٨٠، رواية رقم: ٣٤٥٦، المعجم الصغير صفحة ٢٣١، رواية رقم:٣٧٥.
(٣) شواهد التنزيل ٢/٢٩، رواية رقم: ٦٤٨.

وقال شمس الدّين الذهبي:

(وصح أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» جلل فاطمة وزوجها وابنيها بكساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»)[1].

فتبيّن من هذه الرّوايات أنّ النبي «صلى الله عليه وآله» حدد مفهوم أهل البيت في آية التطهير بأولئك الذين جمعهم تحت الكساء، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام»، فيكون قول الشيعة وغيرهم بأنّ الآية نزلت في هؤلاء موافق لقول النبي «صلى الله عليه وآله» وفعله، والمخالف للنبي هو من يدّعي خلاف ذلك.

تصريح جمع من علماء أهل السنة باختصاص آية التطهير بأصحاب الكساء

ليس الشيعة وحدهم من ذهب إلى اختصاص آية التطهير بأصحاب الكساء «عليهم السلام»، وإنما جمهور علماء أهل السنة قالوا بذلك، قال ابن حجر في كتابه الصواعق:

(أكثر المفسرين على أنّها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير عنكم وما بعده)[2].

وقال الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» تحت عنوان: «باب بيان مشكل ما روي عنه «صلى الله عليه وآله وسلّم» في المراد بقول الله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ من هم؟» قال:

(حدثنا الربيع المرادي، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا حاتم

(١) سير أعلام النبلاء ٢/١٢٢.
(٢) الصواعق المحرقة ٢/٤٢١.

ابن إسماعيل، حدثنا بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال:

لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي») .

ثم قال الطحاوي:

(ففي هذا الحديث أنّ المرادين بما في هذه الآية هم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» وعلي وفاطمة وحسن وحسن).

ثم قال:

(حدثنا فهد، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير ابن عبد الحميد، عن الأعمش، عن جعفر بن عبد الرحمن البجلي، عن حكيم بن سعد، عن أم سلمة، قالت:

نزلت هذه الآية في رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» وعلي وفاطمة وحسن وحسين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾) .

ثم قال الطحاوي:

(ففي هذا الحديث مثل الذي في الأول»)[1].

وقال بعد أن ذكر مجموعة من الرّوايات لحديث الكساء من طريق أم المؤمنين أم سلمة «رضوان الله تعالى عليها»:

(فدل ما رويناه في هذه الآثار مما كان من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» إلى أم سلمة، مما ذكر فيها لم

(١) شرح مشكل الآثار ٢/٢٣٥- ٢٣٧.

يرد به أنّها كانت ممن أريد به ما في الآية المتلوة في هذا الباب، وأنّ المرادين فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» وعلي وفاطمة وحسن وحسين دون من سواهم)[1].

وقال العلامة يوسف بن موسى الحنفي «أبو المحاسن»:

(روي أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي. وروي أنّه جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين، ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأر إلى الله تعالى: رب هؤلاء أهلي، قالت أم سلمة: يا رسول الله فتدخلني معهم؟ قال: أنت من أهلي، يعني من أزواجه كما في حديث الإفك: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، لا أنها أهل الآية المتلوة في هذا الباب.

يؤيده ما روي عن أم سلمة أن هذه الآية نزلت في بيتي فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: أنت على خير، إنّك من أزواج النبي، وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين.

وما روي أيضاً عن واثلة بن الأسقع أنه قال:

أتيت علياً فلم أجده، فقالت فاطمة: انطلق إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» يريده قال: فجاء مع رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» فدخلا ودخلت معهما، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» الحسن والحسين وأقعد كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لف عليهم ثوباً وأنا منتبذ، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) شرح مشكل الآثار ٢/٢٤٤- ٢٤٥.

اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، ثم قال: اللهم هؤلاء أهلي، اللهم هؤلاء أهلي، إنّهم أهل حق، فقلت: يا رسول الله وأنا من أهلك؟ قال: وأنت من أهلي، قال واثلة: فإنّها من أرجى ما نرجو، وواثلة أبعد من أم سلمة لأنه ليس من قريش، وأم سلمة موضعها من قريش موضعها، فكان قوله «صلى الله عليه وآله وسلّم» لواثلة: أنت من أهلي لإتباعك إيّاي وإيمانك بي، وأهل الأنبياء متّبعوهم، يؤيده قوله تعالى لنوح : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فكما خرج ابنه بالخلاف من أهله، فكذلك يدخل المرء في أهله بالموافقة على دينه وإن لم يكن من ذوي نسبته.

والكلام لخطاب أزواج النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم»، تمّ عند قوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ ...﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ استئناف تشريفاً لأهل البيت وترفيعاً لمقدارهم، ألا ترى أنه جاء على خطاب المذكر فقال: ﴿عَنْكُمُ﴾ ولم يقل (عنكن)، فلا حجة لأحد في إدخال الأزواج في هذه الآية.

يدل عليه ما روي أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» كان إذا أصبح أتى باب فاطمة فقال: السلام عليكم أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾)[1].

وقال العلامة حسن بن علي السقاف:

(وأهل البيت هم سيدنا علي والسيدة فاطمة، وسيدنا الحسن، وسيدنا الحسين، وذريتهم من بعدهم ومن تناسل

(١) معتصر المختصر ٢/٢٦٦-٢٦٧.

منهم للحديث الصحيح الذي نص النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» فيه على ذلك، ففي الحديث الصحيح: نزلت هذه الآية على النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أم سلمة فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت مكانك، وأنت إلى خير)[1].

وقال في هامش صفحة ٦٥٧ من كتابه «صحيح شرح العقيدة الطحاوية» وهو يرد على الشيخ الألباني في قوله:

(وتخصيص الشيعة أهل البيت في الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين «رضي الله عنهم» دون نسائه «صلى الله عليه وآله وسلّم» من تحريفهم لآيات الله تعالى انتصاراً لأهوائهم كما هو مشروح في موضعه)، فقال رداً عليه :

(وهذا من تلبيساته وتمحله في رد السنة الثابتة في تفسيره لأهل البيت، وهو بهذا أراد أن يلبس على القارئ بأن من قال أن أهل البيت هم أهل الكساء أنهم الشيعة!

والحق أن من قال ذلك جميع أهل السنة والجماعة، وقبلهم الذي لا ينطق عن الهوى «صلى الله عليه وآله وسلّم»، ولكن هذا هو النصب الذي يفضي بصاحبه إلى ما ترى كما شرحنا في موضعه).

أقول:

إنّ رد العلامة حسن بن علي السقاف لكلام الألباني قوي،

(١) صحيح شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٦٥٥.

فالحديث النبوي الصحيح عندهم وعندنا يحصر المقصودين بأهل البيت في الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام»، وقد ثبت عندنا عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال بعد الحسن والحسين: وتسعة من ذرية الحسين آخرهم المهدي.

أما قول السقاف: «**وذريتهم من بعدهم ومن تناسل منهم**» فلم تدل عليه حتى رواية واحدة، بل الدليل العقلي والنقلي على ضده، إذ كيف يكون كل من تناسل من ذرية علي وفاطمة «عليهما السلام» مطهّراً من المعاصي، وفيهم الفسّاق والفجّار؟!.

وقال العلامة أبو بكر الحضرمي في «رشفة الصادي من بحر فضائل النبي الهادي»:

(والذي قال به الجماهير من العلماء وقطع به أكابر الأئمة، وقامت به البراهين وتظافرت به الأدلة أن أهل البيت المرادين في الآية هم: سيدنا علي وفاطمة وابناهما، إذ المصير إلى تفسير من أنزلت عليه الآية متعيّن.

فإنّه صلوات الله وسلامه عليه وآله هو الذي فسّرها بأنّ أهل بيته المذكورين في الآية الكريمة هم: علي وفاطمة وابناهما؛ بنص أحاديثه الصحيحة الواردة عن أئمة الحديث المعتد بهم رواية ودراية)[1].

وقال أيضاً:

(والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وبما أوردته منها يعلم قطعاً أن المراد بأهل البيت هم علي وفاطمة وابناهما «رضوان الله عليهم».

(١) رشفة الصادي، صفحة ٢٣-٢٤.

ولا التفات إلى ما ذكره صاحب «روح البيان» من أن تخصيص الخمسة المذكورين «عليهم السلام» بكونهم أهل البيت هو من أقوال الشيعة لأنّ ذلك محض تهوّر يقتضي بالعجب!، وبما سبق من الأحاديث وما في كتب أهل السنة السنية يسفر الصبح لذي عينين)[1].

وقال العلامة الشوكاني في «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول» وهو يرد على من قال بأن الآية في نساء النبي «صلى الله عليه وآله»:

(وأجيب بأن سياق الآية يفيد أنّه في نسائه، ويجاب عن هذا بأنه ورد بالدليل الصحيح أنها نزلت في علي وفاطمة والحسنين)[2].

وقال السمهودي في «جواهر العقدين»:

(وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد من الآيتين - آية المباهلة وآية التطهير-)[3].

وقال ابن عساكر في كتابه «الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» بعد أن ذكر رواية عن أم سلمة قالت فيها: **(وأهل البيت رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين)**.

قال: **(هذا حديث صحيح)**.

ثم قال: **(وقولها وأهل البيت هؤلاء الذين ذكرتهم إشارة إلى الذين وجدوا في البيت في تلك الحالة، وإلاّ فآل رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» كلهم من أهل البيت، والآية نزلت خاصة في هؤلاء المذكورين والله أعلم)**[4].

(١) رشفة الصادي، صفحة ٣٥.
(٢) إرشاد الفحول ٨٣، البحث الثامن من المقصد الثالث.
(٣) جواهر العقدين ٢/٢٨.
(٤) الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، صفحة ١٠٦.

وقال العلامة سيدي محمد جسوس في «الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية»:

(ثم جاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معهم، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وفي ذلك إشارة إلى أنهم المراد بأهل البيت في الآية)[1].

وقال العلامة محمد أحمد بنيس في «لوامع أنوار الكوكب الدري»:

(﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ أكثر المفسرين أنها نزلت في علي وفاطمة والحسنين «رضي الله عنهم»)[2].

وقال توفيق أبو علم في كتابه «أهل البيت» وهو يرد على عبد العزيز البخاري:

(أمّا قوله: أنّ آية التطهير المقصود بها الأزواج فقد أوضحنا بما لا مزيد عليه أنّ المقصود من أهل البيت هم العترة الطاهرة لا الأزواج)[3].

وقال الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه «مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة» - وهو يرد على من زعم عدم اختصاص آية التطهير بأصحاب الكساء -:

(... ثم فسّر أهل البيت المرادين في الآية بأنّهم أزواجه وذريته وأقاربه، مع أنّ النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» قد

(١) الفوائد الجليلة البهيّة على الشمائل المحمّدية صفحة٨٢.
(٢) لوامع أنوار الكوكب الدري ٢/٨٦.
(٣) أهل البيت صفحة ٣٥.

قصر ذلك على الأربعة علي وفاطمة والحسن والحسين كما في حديث مسلم.

ولمّا أرادت أم سلمة الدخول معهم في الكساء قال: إنّك إلى خير، ولم يأذن لها، وهذا إخراج واضح للزوجات، وقد أخرجهن زيد بن أرقم أيضاً، والنبي خير من فسّر القرآن والاستدلال بسياق القرآن ليس على إطلاقه).

إلى أن قال:

(على أية حال يمكن أن يقال أن مفهوم أهل البيت فيها خصوص وعموم، فأخص أهل البيت هم الأربعة علي وفاطمة والحسن والحسين، أما العموم فيدخل فيه بنو هاشم وزوجات النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» وسائر بناته الأخريات وزيد بن حارثة وابنه أسامة ومولاتهم أم أيمن .

لكن آية التطهير يبدو أنّها خاصة بالأربعة يدل عليه حديث الكساء، فالنبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» - كما سبق - أفضل من فسّر المراد من الآية، وقد حصرها في الأربعة)[1].

وقال ابن الصباغ المالكي:

(أهل البيت على ما ذكر المفسّرون في تفسير آية المباهلة وعلى ما روي عن أم سلمة هم: النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين)[2].

وقال الحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب»:

(١) مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة، صفحة ٢٨٨.
(٢) الفصول المهمة، صفحة ٢٣.

(بل الصحيح أنّ أهل البيت علي وفاطمة والحسنان «عليهم السلام» كما رواه مسلم بإسناده عن عائشة أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» خرج ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وهذا دليل على أن أهل البيت هم الذين ناداهم بقوله أهل البيت وأدخلهم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» في المرط)[1].

وقال الشيخ سليمان القندوزي:

(أكثر المفسرين على أنّها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين لتذكير ضمير عنكم ويطهركم)[2].

وقال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز:

(وقالت فرقة هي الجمهور: «أهل البيت» علي وفاطمة والحسن والحسين، وفي هذا أحاديث عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم»، قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم»: نزلت هذه الآية في خمسة؛ فيَّ وفي علي وفاطمة والحسن والحسين «رضي الله عنهم»، ومن حجة الجمهور قوله ﴿عَنْكُمُ﴾ و ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالميم، ولو كان النساء خاصة لكان «عنكن»)[3].

وقال الآجري:

(١) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، صفحة ٤٩.
(٢) ينابيع المودة ٢/٤٢٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/٣٨٤.

(باب ذكر قول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قال محمد بن الحسين «رحمه الله»:

هم الأربعة الذين حووا جميع الشرف وهم: علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين «رضي الله عنهم»[1].

وقال نظام الدين ابن عطية في غرائب القرآن ورغائب الفرقان:

(وأهل البيت نصب على النداء، أو على المدح، وقد مر في آية المباهلة أنّهم أهل العباء؛ النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» لأنه أصل، وفاطمة «رضي الله عنها» والحسن والحسين «رضي الله عنهما» بالاتفاق، والصحيح أن علياً «رضي الله عنه» منهم لمعاشرته بنت النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» وملازمته إياه)[2].

نعم قال عقيب كلامه هذا:

(وورود الآية في شأن أزواج النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» يغلب على الظن دخولهن فيه، والتذكير للتغليب، فإن الرجال وهم النبي وعلي وأبناؤهم غلبوا على فاطمة وحدها أو مع أمهات المؤمنين)[3].

قلت:

كما ترى أنّ نظالم الدين النيسابوري غير جازم في دخول نساء النبي «صلى الله عليه وآله» مع أهل البيت في الآية وإنّما يظن ذلك، لزعمه أن الآية في شأن النساء، والظن لا يغني من

(١) الشريعة للآجري ٤/٣٧٨.
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥/٤٦٠.
(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥/٤٦٠.

الحق شيئاً، فقد أثبتنا بالدليل أن الآية نزلت لوحدها وأنّ النبي «صلى الله عليه وآله» حدد مصاديق أهل البيت فيها بأهل الكساء خاصة.

وقال ابن النجار الحنبلي:

(وأهل البيت هم: علي وفاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» ونجلاهما هما حسن وحسين «رضي الله تعالى عنهم»، لما في الترمذي أنّه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ أدار النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» الكساء وقال: هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)[1].

وقال الصفدي:

(الحسين بن علي بن أبي طالب «رضي الله عنهما» ريحانة رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» وابن ابنته فاطمة «رضي الله عنها»، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، هو وأخوه وأمه وأبوه أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)[2].

وقال ابن حجر:

(وفي ذكر «البيت» معنى آخر، لأنّ مرجع أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾ قالت أم سلمة: لما نزلت دعا النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» فاطمة وعليّاً والحسن والحسين فجللهم بكساء

(١) شرح الكوكب المنير ٢/٢٤١-٢٤٣.
(٢) الوافي بالوفيات ١٢/٢٦٢.

فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي... الحديث، أخرجه الترمذي وغيره ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لأنّ الحسنين من فاطمة، وفاطمة بنتها وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها)[1].

وقال الذهبي:

(وفي فاطمة وزوجها وبنيها نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فجللهم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» بكساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي)[2].

وقال أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي:

(وقراءة النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ دليل على أنّ أهل البيت المعنيون في الآية هم المغطون بذلك المرط في ذلك الوقت)[3].

هل تدل آية التطهير على عصمة المخاطبين بها؟

قال الدليمي:

(وعقيدة بهذه المنزلة والخطورة لا بدّ أن تكون أدلتها صريحة قطعية في دلالتها، محكمة لا يتطرق إليها الشك أو الإحتمال بأيّ حال من الأحوال، وإلاّ صار الدين لعباً

(١) فتح الباري ٧/١٣٨.
(٢) تاريخ الإسلام ٣/٤٤.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/٣٠٢-٣٠٣.

لكل لاعب، وأساسياته عرضة لكل متلاعب، وهذه الآية «آية التطهير» ليست صريحة في الدلالة على عصمة أحد، فضلاً عن عصمة أشخاص معينين محددين، والقول بدلالتها على العصمة ظن واشتباه، فبطل الاستدلال بها على ذلك، لأنّ الدليل إذا تطرّق إليه الإحتمال بطل به الاستدلال)[1].

قلت:

إنّ دلالة آية التطهير على عصمة المخاطبين بها من الذنب والخطأ والسهو والنسيان في غاية الجلاء والوضوح، فالله عزّ وجل صرّح فيها بأنّه أراد لهم أن يذهب عنهم الرّجس ويطهرهم تطهيرا، فإذهاب الرّجس عنهم وتطهيرهم تطهيراً مطلقاً هو عين العصمة، قال الألوسي:

(والرجس في الأصل الشيء القذر، وأريد به هنا عند كثير الذنب مجازاً، وقال السدي: الإثم، وقال الزجاج: الفسق، وقال: ابن يزيد الشيطان، وقال الحسن: الشرك، وقيل الشّك، وقيل البخل والطمع، وقيل الأهواء والبدع، وقيل: إنّ الرجس يقع على الإثم، وعلى العذاب، وعلى النجاسة، وعلى النقائص، والمراد به هنا ما يعم كل ذلك)[2].

وقال الشوكاني:

(والمراد بالرجس الإثم والذنب المدنسان للأعراض، الحاصلان بسبب ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه، فيدخل تحت ذلك كل ما ليس فيه لله رضا)[3].

وقال ابن عطية:

(١) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، صفحة ٦.
(٢) روح المعاني ١٢/٢٢.
(٣) فتح القدير ٢٧٨/٤.

(**والرجس اسم يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت**)[1].

وقال ابن عبّاس:

(**عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا**)[2].

وقال مجاهد:

(**الرجس: ما لا خير فيه**)[3].

وعليه: فإنّ لفظة «الرجس» في الآية الكريمة محلاة بـ «أل الجنسية»، فهي تشمل كل أفراد الجنس، فيكون المعنى أنّ الله سبحانه وتعالى أذهب عن أهل البيت المخاطبين في الآية جميع أفراد الرجس، ولهذا قال الألوسي: (**والمراد به هنا ما يعم كل ذلك**)، أي أنّ المراد بالرجس في آية التطهير ما يعم كل الأفراد التي ذكرها للرجس، وهو صريح قول ابن عطية وابن عباس ومجاهد، فأهل البيت مطهرون من كل النقائص والقذارات المعنوية والمادية ومنها الذنوب، ومنها الخطأ والسهو والنسيان لأنّها من النقائص ومما لا خير فيه ومما ليس لله فيه رضا.

وعلى هذا يكون قول الدليمي: (**التطهير وإذهاب الرجس لا يعني العصمة من الذنب**)[4] غير صحيح، فقد مرّ عليك كلام المفسّر السني ابن عطية الذي يصرّح فيه أنّ الله عزّ وجل أذهب عن أهل البيت «عليهم السلام» جميع الآثام والعذاب والنقائص، وهي جميعها من مصاديق الرجس،

(١) المحرر الوجيز ٤/٣٨٤.
(٢) تفسير البغوي ٣/٥٢٨.
(٣) الدر المنثور ٣/٣٥٦.
(٤) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، صفحة ٨.

والذنب من الآثام وبسببه يقع على العبد العذاب، وهو كذلك من النقائص، فإذاً هم مطهرون من الذنوب معصومون منها.

وبما سبق أيضاً يكون قوله: (**فلا يعرف في لغة القرآن - التي هي لباب لغة العرب - إطلاق لفظ الرجس على الخطأ في الاجتهاد، فإن الرجس القذر والنتن وأمثالهما**)[1]، وقوله: (**فمن قال: إنّ الآية نص في التنزيه من الخطأ فقد جاء بما لا يعرف من لغة العرب، وإذن فالآية لا تنهض حجة على العصمة من الخطأ، بل سقط الاحتجاج بها كلياً لأنّ العصمة لا تتجزأ، فإذا لم يكن من وصف بالعصمة معصوماً من الخطأ فهو ليس معصوماً من الذنب لأنّهما متلازمان**)[2]، قولاً باطلاً، لأن الخطأ من النقائص، ومما لا خير فيه، ومما ليس لله فيه رضاً، وقد يكون وقوع الخطأ من الشيطان، وكل ذلك من مصاديق الرجس عند أهل اللغة، فالجاهل بلغة العرب هو من ينكر ذلك وليس من جعل الخطأ مصداقاً من مصاديق الرجس.

ثم إنّ الإرادة في آية التطهير إرادة تكوينية، والمراد بها واقع قطعاً لعدم انفكاك المراد بها عنها، والدليل على أنّها كذلك -أي تكوينية - هو الحصر الموجود فيها بأداة الحصر «إنّما» التي هي من أقوى أدوات الحصر في لغة العرب، والتي حصرت المراد في الآية بالمخاطبين بها دون غيرهم، فلو كانت تشريعية لما قصرت على أهل البيت «عليهم السلام» لأنّ الله عزّ وجل أراد بإرادته التشريعية لجميع المكلفين التطهر من الرّجس من خلال امتثالهم للتكاليف الإلهية لا لخصوص أهل البيت «عليهم السلام»، وبما أنّها تكوينية، والمراد بها لا ينفك

(١) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، صفحة ٧.
(٢) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، صفحة ٨.

عنها، فإنّ إذهاب الرجس والتطهير لأهل البيت واقع لهم لا محالة.

وادّعى الدليمي[1] أنّ الإرادة في الآية إرادة تشريعية، وعبرّ عنها بالإرادة الشرعية زاعماً أنّ هناك أدلة تدل على أنها كذلك، فاستشهد بمجموعة من أقواله تعالى مما ورد فيه لفظة «يريد» كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2]، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾[3] وقوله: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[4]، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[5]، مدّعياً أنّ الإرادة في جميع ذلك إرادة تشريعية، وأنّ الإرادة في آية التطهير من سنخ الإرادة في هذه الآيات، وهذا غير صحيح لأنّه واضح من هذه الآيات وسياقها أنّ الإرادة فيها إرادة تشريعية، وتحقق المراد بها إنّما يكون بفعل المكلف، فمثلاً يقول تعالى: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ فتوبته سبحانه على عبده لا تتحقق بمجرد الإرادة، وإنما بكف العبد عن المعاصي، والإنابة إليه، وطلب المغفرة والعفو والصفح منه، وهذا بخلاف الإرادة في آية التطهير والتي بيّنا أنّها إرادة تكوينية، وهي إخبار عن تحقق عصمة أهل البيت وطهارتهم من كل رجس ودنس.

ثم ذكر أن ما ورد في حديث الكساء من دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» لأصحاب الكساء بأن يذهب الله عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فيه قرينة على أنَّ الإرادة في آية التطهير تشريعية فقال:

(١) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، صفحة ٢٦.
(٢) البقرة: ١٨٥.
(٣) النساء: ٢٨.
(٤) النساء: ٢٧.
(٥) المائدة: ٦.

(فهناك قرائن تدل على أنَّ الإرادة شرعية لا قدرية منها حديث الكساء، إذ لو كانت إرادة الله قدرية لا بد من وقوعها لما دعا لهم إذ هم أغنياء عن دعائه «صلى الله عليه وآله وسلّم» لكون الله تعالى شاء عصمتهم وقدرها حتماً فلا حاجة له.

وأيضاً فلو كانت الآية في العصمة وهم معصومون من الأصل فرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» يعلم ذلك، فعلام يطلب لهم شيئاً حاصلاً من الأساس، أي كما يقال: تحصيل حاصل، وتحصيل الحاصل لغو ينبغي أن ننزه عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم»، وأيضاً يقال: هل عصمتهم قبل دعاء النبي أم بعده؟ فإن كانت حصلت بدعائه أي بعده فهم غير معصومين من قبل، وغير المعصوم كيف ينقلب معصوماً؟

وإن كانت حاصلة بدون دعائه -أي قبله- فعلام دعا؟!)[1].

وقال أيضاً:

(لو تمعنت في الأمر قليلاً لوجدت الحديث حجة لنا لا علينا، إذ هو قرينة واضحة على أن المقصود بالآية أزواجه، فلو كانت نازلة بخصوص أصحاب الكساء لما كان لدعاء النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» لهم معنى فما الداعي له والأمر محسوم من الأساس بدون دعائه؟!)[2].

قلت:

إنّ فائدة الدعاء هي استمرار التطهير لهم في المستقبل فلا ضير في أن تكون الآية قد نزلت في أهل الكساء الذين كانوا

(١) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، صفحة ٢٨- ٢٩.
(٢) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، صفحة ٢٠.

مطهرين من كل رجس من أول أمرهم، ودعاء النبي «صلى الله عليه وآله» لهم لاستمرار هذه الطهارة في المستقبل أيضاً، فنتيجة الدعاء وإن كانت من حيث التحقق تحصيل حاصل إلاّ أن مثل هذه الأدعية إنّما يراد بها الإقرار بالفقر والحاجة لاستمرار الفيض الإلهي ومواصلته ودوام العطاء، فمثلاً الداعي يعلم أنّ الله خلع عليه الوجود وأفاض عليه الجوارح ووهبه النعم تكويناً، ولكنه يسأل الله ويدعوه استمرارها ومواصلة الإنعام بها وعدم زوالها.

ثم إنّ في دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» لأصحاب الكساء إشكالاً يرد على الدليمي لقوله بأن الإرادة في الآية تشريعية، لأنّه لا معنى أن يخص النبي «صلى الله عليه وآله» أهل بيته بالدعاء فيقول: اللهم اجعل أهل بيتي مشمولين بشريعتك وأمرك ونهيك، وأبعدهم عن معصية أمرك ونهيك، وذلك لأنّهم مخاطبون بالتكاليف والأوامر والنواهي الإلهية كغيرهم، وإرادة التطهير باتباع الشريعة لهم ولغيرهم، فبماذا سيجيب على هذا الإشكال؟!

أما القرينة الثانية التي زعم الدليمي أنها تدل على أن الإرادة في آية التطهير إرادة تشريعية لا تكوينية هي السياق، فأورد كلاماً ملخصه: أن قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ جاء في سياق كلام فيه توجيه أمر ونهي لزوجات النبي «صلى الله عليه وآله»، وأنّ المخاطب في هذه الآيات بمجموعها يحتمل في حقّه الطاعة والمعصية، فالله يحذره من المعصية، ويحثه على الطاعة، مستدلاً بذلك على أن الإرادة في آية التطهير إرادة تشريعية لا تكوينية، إذ لو كانت تكوينية لما كان هناك وجه

لتوجيه كل تلكم التحذيرات ما دام المخاطب معصوماً.

قلت:

إن القائلين بدلالة آية التطهير على عصمة المخاطبين بها لا يقولون بنزولها في نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا بمعية ما قبلها وما بعدها من الآيات التي خاطب الله سبحانه وتعالى فيها زوجات نبيه الأكرم «صلى الله عليه وآله»، ووجه فيها إليهن مجموعة من الأوامر والنواهي حتى ينقض عليه بذلك، وإنما يقولون بنزولها مستقلة، ويثبتون بالأدلة أنها نزلت في أولئك الذين جمعهم النبي «صلى الله عليه وآله» تحت كسائه، وخاطبهم بالآية ودعا الله لهم بقوله: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

هل نزلت آية التطهير في زوجات النبي ؟!

لقد ادّعى الدليمي أنّ زوجات النبي صلى الله عليه وآله هنّ سبب نزول آية التطهير، وأنّها نزلت فيهن خاصة فقال:

(فإن أزواج النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» هن سبب نزول الآية...)[1].

قلت:

لا يوجد دليل واحد عند الدليمي يمكن له أن يستدل به على نزول الآية في الزوجات أو حتى شمولها لهنّ سوى دليل السياق، - أي وقوع آية التطهير في سياق الآيات التي وجّه الخطاب فيها لزوجات النبي «صلى الله عليه وآله» - فاستنتج من ذلك أنّها نزلت فيهنّ، وهذا الاستنتاج يمكن المصير إليه

(١) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، صفحة ٢٢.

حيث لا توجد قرائن وأدلة تدل على خلاف ما يدل عليه دليل السياق، أمّا والأدلة والقرائن موجودة فلا بدّ من إهمال هذا الدّليل، وصرف النظر عنه، وعدم الاعتماد عليه، ومن هذه القرائن والأدلة:

١- النصوص الروائية التي سبق ذكرها، والتي خصص النبي «صلى الله عليه وآله» فيها مفهوم أهل البيت في الآية بأصحاب الكساء وحدده فيهم، ولم يقتصر فهم ذلك من هذه النصوص على الشيعة فقط، وإنما شاركهم في هذا الفهم العديد من علماء أهل السنة، بل جمهورهم، وسبق أن نقلنا في ذلك أقوال جمع منهم[١].

فالنبي «صلى الله عليه وآله» هو من أخرج نساءه من أن يكنّ من مصاديق أهل البيت في الآية، ومع وجود مثل هذا الدليل فلا بدّ من رفع اليد عن الظهور السياقي، فهذا العلامة المفسر السنّي الكبير ابن جرير الطبري يقول:

(فغير جائز صرف الكلام عمّا هو في سياقه إلى غيره إلاّ بحجة يجب التسليم لها، من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرّسول تقوم به حجة، فأمّا الدعاوى فلا تتعذّر على أحد)[٢].

(١) إنّ النصوص الروائية التي أوردناها والتي يخصص النبي «صلى الله عليه وآله» فيها مفهوم أهل البيت في آية التطهير بأصحاب الكساء وكذلك ما أوردناه من أقوال لعلماء أهل السنة الذين يصرّحون فيها باختصاص الآية بأصحاب الكساء هي رد أيضاً على قول الدليمي في صفحة ١٨ من كتابه: (ومن العجيب أنّه يخرجون نساء النبي «صلى الله عليه وآله» من حكم الآية ...) الذي يحاول فيه أن يوهم القارئ أن القائل باختصاص الآية بأصحاب الكساء هم الشيعة فقط، فالقائل باختصاصها بهم هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجمهور علماء أهل السنة أيضاً.

(٢) تفسير الطبري ٩/٣٨٩.

فمع وجود الحجة من أحاديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصحيحة، التي خصّصت مفهوم أهل البيت في الآية الكريمة في غير الزوجات، يقدّم هذا الدّليل الروائي على دليل السياق، والقول بخلاف ذلك هو اجتهاد في مقابل النص، وهو من كبائر الذنوب.

٢- والنصوص الروائية التي مرّ ذكرها تدل على نزول آية التطهير مستقلة، دون ما قبلها وما بعدها من الآيات، ولا يوجد دليل روائي واحدٌ صحيحٌ يدل على نزولها بمعية ما قبها وما بعدها من الآيات، وهذا مما يضعف الاستدلال بدليل السياق.

٣- لم تدع واحدة من زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» أنّ الآية نزلت فيهن، فلماذا يكون الدليمي ملكيّاً أكثر من الملك نفسه؟

بل ورد عن عائشة وأم سلمة من الروايات ما يدل على اختصاص الآية بأصحاب الكساء، قال السمعاني:

(وذهب أبو سعيد الخدري وأم سلمة وجماعة كثيرة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهما أنّ الآية في أهل بيت النبي وهم علي وفاطمة والحسن والحسين) [1].

وقال ابن الجوزي:

(والثاني: أنّه خاص في رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» وفاطمة وعلي والحسن والحسين، قاله أبو سعيد الخدري، وروي عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك) [2].

وقد صحّ عند أهل السنة أنّ عائشة قالت:

(١) تفسير السمعاني ٤/٢٨١.
(٢) زاد المسير في علم التفسير ٦/٣٨١-٣٨٢.

(ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلاّ أنّ الله أنزل عُذري)[1].

٤- (إنّ مخاطبة الزوجات مشوبة بالمعاتبة والتأنيب والتهديد، ومخاطبة أهل البيت محلاّة بأنواع اللطف والمبالغة في الإكرام، ولا يخفى بعد إمعان النظر المباينة التامة في السياق بينها وبين ما قبلها وما بعدها)[2]، وهذا مما يضعف الاستدلال بدليل السياق أيضاً.

٥- إن المسلمين متفقون على أن القرآن الكريم لم يجمع حسب النزول، فكم من آية مدنية وقعت بين آيات مكية والعكس، وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة على أنّ الآية في أوّلها خاصة بموضوع وفي آخرها بموضوع آخر، ووجود آية التطهير بين تلك الآيات التي يخاطب الله سبحانه وتعالى فيها زوجات نبيه «صلى الله عليه وآله» هو من قبيل الاستطراد والجملة المعترضة، وفي القرآن الكريم شواهد على تخلل الجملة الأجنبية بين الكلام المتناسق، كقوله تعالى في حكاية عزيز مصر لزوجته إذ قال لها: ﴿...إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[3]، فقوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ مستطرد بين خطاب عزيز مصر الموجه لزوجته، وعلى هذا لا يمكن أيضاً الاعتماد على دليل السياق.

٦- وفي محاولة أم المؤمنين أم سلمة «رضي الله عنها» الدخول معهم تحت الكساء، وفي سؤالها للنبي «صلى الله عليه وآله» بقولها: «وأنا معهم يا رسول الله؟» دليل على أنّ

(١) صحيح البخاري ٤/١٨٢٧.
(٢) بحار الأنوار ٣٥/٢٣٥.
(٣) يوسف: ٢٨-٢٩.

الآية لم تنزل فيهن، إذ لو كانت الآية نزلت فيهن، وخاصة بهن لما كان لمحاولتها الدخول معهم تحت الكساء وسؤالها للنبي «صلى الله عليه وآله» أنّها منهم وجه معقول.

٧- وكذلك في منع النبي «صلى الله عليه وآله» لها من الدخول[١] معهم وقوله لها : «إنك إلى خير» دليل آخر على أنهن غير معنيات بالآية ولا يشملهن مفهوم أهل البيت فيها.

٨- وكذلك في مخاطبة النبي «صلى الله عليه وآله» لأصحاب الكساء بالآية حسب ما ورد في رواية عائشة التي قالت فيها:

(خرج النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)[٢]، وكذلك في رواية ابن عباس التي قال فيها : (**... وأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾...)**[٣]، دليلٌ على أنّهم المخاطبون بالآية

(١) روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أم سلمة: (أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم فألقى عليهم كساءً فدكيًا، قال: ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وآل محمد إنك حميد مجيد، قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي! وقال: إنك إلى خير) (مسند أحمد ٣١٤/١٨ ، رواية رقم: ٢٦٦٢٥، وقال الشيخ حمزة أحمد الزين : إسناده حسن).

(٢) صحيح مسلم ١٨٨٣/٤، رواية رقم: ٢٤٢٤.

(٣) المستدرك على الصحيحين ١٤٣/٣، رواية رقم: ٤٦٥٢، وقال الحاكم النيسابوري: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وصححه الذهبي في تلخيص المستدرك.

وليس غيرهم، إذ لو كانت الآية في النساء فلماذا يخاطب النبي «صلى الله عليه وآله» بها غير من نزلت فيهم؟!

٩- لقد ورد في الأثر أن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلى مدى ستة أشهر أو تسعة كان يأتي كل صباح ويقف عند باب بيت علي وفاطمة «عليهما السلام» وينادي: الصلاة يا أهل البيت، ثم يخاطبهم بالآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وفيه دليل على أنّهم المعنيون والمخاطبون بهذه الآية المباركة[1].

١٠-ومما يدل على عدم نزول آية التطهير في زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» تذكير الضمير فيها، بخلاف الآيات التي ورد الخطاب فيها لهنّ، فلو كنّ المخاطبات بها لقال «عنكن» و «ويطهركن» ولم يقل ﴿عَنْكُمُ﴾ و﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾، وحاول الدليمي التملّص والتخلّص من هذا الدّليل، أو قل الإشكال الذي يورد على قولهم بنزول الآية في الزوجات بالقول:

(ولما كان بيت النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» فيه النبي وأزواجه جاء اللفظ بصيغة التذكير ليعمهم جميعاً فلا يمكن إذاً أن تأتي الصيغة بالتأنيث وإلاّ خرج النبي من حكم الآية)[2].

وهو -كما ترى- قول لم يسنده بدليل، ثم إنّ دفع هذا

(١) قال السيوطي في الدّر المنثور٦/٦٠٥: (وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس «رضي الله عنه» أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يمر بباب فاطمة «رضي الله عنها» إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول الصلاة يا أهل البيت الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

(٢) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة صفحة ١٨.

الإشكال إنما يصار إليه بعد إثبات نزول الآية فيهنّ، وكما أسلفنا أنّه لا دليل عندهم على ذلك إلاّ دليل السياق، وهو مما أثبتنا بطلانه.

فيكون تذكير الضمير في الآية قرينة لفظية على عدم اختصاص الآية بزوجات النبي «صلى الله عليه وآله»، وكما هو معلوم عند أهل البلاغة أن القرينة اللفظية أظهر من القرينة السياقية.

ودعوى الدليمي أنّ النبي «صلى الله عليه وآله» أراد من تجليله بكسائه لعلي وفاطمة والحسن والحسين إدخالهم تحت مفهوم أهل البيت في الآية وذلك في قوله: (**ونحن لا ندري ما علاقة هذا الحديث بإخراج أمهات المؤمنين من الآية!! غاية ما فيه إدخال مجموعة من أقرباء النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» الذين لم يكونوا يساكنونه في بيته في حكم الآية ...**)[1] دعوى باطلة لا دليل عليها، فأين الدليل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال أنّ آية التطهير نزلت في نسائه؟!

وأين الدليل من قول النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه أراد من خلال عملية تجليل علي وفاطمة والحسن والحسين أن يجعلهم من مصاديق الآية، لا أنها نزلت فيهم؟!

ومن روى ذلك من العلماء؟!

إنّ مما يؤكد نزول آية التطهير في أصحاب الكساء ما ورد في بعض روايات أهل السنة من تصريح للإمام الحسن ابن علي «عليهما السلام» بأن الآية نزلت فيهم، ففي «مجمع الزوائد» للهيثمي قال:

(١) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة صفحة ١٩.

(إن الحسن بن علي حين قتل علي استخلف، فبينا هو يصلي بالنّاس إذ وثب إليه رجل فطعنه في وركه، فتمرّض منها أشهر، ثم قام فخطب على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنّا أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل البيت الذي قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلاّ باكياً)[1].

مفهوم أهل البيت في آية التطهير مصطلح خاص

وحاول الدليمي متهالكاً أن يثبت أنّ لفظة «أهل» يراد بها الزوجة لغة وشرعاً وعرفاً وعقلاً حسب زعمه[2]، وأن «البيت» في مفهوم «أهل البيت» في الآية يراد به بيت السكنى، أي بيت النبي «صلى الله عليه وآله» الذي يسكنه هو وأزواجه[3]، ونحن لا يهمنا هنا أن تكون لفظة «أهل» عندما تطلق يراد بها الزوجة أم أنّه لا بد من قرينة لصرفها إلى الزوجة، ولا يهمنا أنّ يكون مفهوم أهل البيت يراد به بيت السكنى، أم يراد به بيت النبوّة أو غيره، وإنّما المهم هو تحديد المرادين في مصطلح «أهل البيت» في خصوص آية التطهير، وقد أوضحنا بالأدلة من فعل النبي «صلى الله عليه وآله» وقوله أن المراد به هم خصوص أصحاب الكساء «عليهم السلام»، والنبي «صلى الله عليه وآله» هو من نزل عليه القرآن وتفسيره من الله عزّ وجل، فهو أعرف من غيره بمعاني آيات القرآن الكريم وتفسيره، وبيان المراد من آياته وألفاظه، وقد طبق صلوات الله وسلامه

(١) مجمع الزوائد ١٧٢/٩، وقال الهيثمي: (رواه الطبراني ورجاله ثقات).
(٢) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة صفحة ١١-١٥.
(٣) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة صفحة ٢٣.

عليه وآله مفهوم أهل البيت في الآية على من جمعهم تحت كسائه دون غيرهم من أقربائه أو زوجاته، فيكون مفهوم أهل البيت في الآية مصطلحاً خاصاً أطلق على خصوص أصحاب الكساء.

وأراد الدليمي أن يلزم الشيعة بالقول بعصمة زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» وجميع بني هاشم إن هم قالوا بدلالة الآية على العصمة زاعماً أن مفهوم أهل البيت يشمل الجميع فقال:

(فلو كانت الآية نصّاً في العصمة لاستلزم ذلك عصمة أزواج النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» من باب أولى)[1].

وقال بعد أن ذكر أن مفهوم أهل البيت عام يشمل أهل بيت النبي جميعهم وهم آل جعفر وآل العباس وآل عقيل ومنهم بناته الأربع:

(إنّ الآية إما نص في العصمة فأهل البيت جميعاً معصومون، وإلاّ فلا دلالة فيها على عصمة أحد)[2].

فنقول في الرّد عليه:

لقد بيّنا بشكل جلي وواضح كيفية دلالة آية التطهير على عصمة المخاطبين بها فيما سبق، تحت عنوان «هل تدل آية التطهير على عصمة المخاطبين بها؟»، وأثبتنا أيضاً من خلال النصوص الصريحة الصحيحة وأقوال جمع من علماء أهل السنة أنّ زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» غير داخلات تحت مفهوم أهل البيت في هذه الآية، فلا يلزم من قول الشيعة بدلالة الآية على العصمة القول بعصمة الزوجات.

(١) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة صفحة ٢٥.
(٢) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة صفحة ٢٥.

وأمّا سائر أقرباء النبي «صلى الله عليه وآله» وإن كان يطلق عليهم بأنهم من أهل البيت إلاّ أنّ هذا الإطلاق بمفهومه العام لا الخاص، لأن النصوص السالفة دلّت على أنّ لمفهوم أهل البيت معنى خاصاً أيضاً إلى جانب معناه العام، أطلقه النبي «صلى الله عليه وآله» على مجموعة خاصة من أقربائه وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام»، فالعصمة خاصة للداخلين تحت مفهوم أهل البيت بمعناه الخاص لا العام، فلا يلزم أيضاً من قول الشيعة بعصمة أهل البيت في آية التطهير عصمة جميع أقرباء النبي ممن يندرجون تحت مفهوم أهل البيت بمعناه العام.

هل يشمل مفهوم أهل البيت في آية التطهير سائر الأئمة؟

قال الدليمي:

(إنّهم يقولون: إنّ قول النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» مشيراً إلى هؤلاء الأربعة «إن هؤلاء هم أهل بيتي» يعني قصر الآية عليهم وإخراج البقية منها، ونحن نقول مجاراة لهم: ابقوا على قولكم هذا واصمدوا عليه إلى الأخير ولا تدخلوا معهم أحداً من أهل البيت وسترون النتيجة في غير صالحكم!! إذن كيف تستطيعون نقل «العصمة» إلى الخامس فما دون؟! وما الذي أدخل هؤلاء وأخرج غيرهم؟! وما هذه الازدواجية والانتقائية؟! أليس لها من ضابط أو مقايس؟!)[1].

قلت:

(١) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة صفحة ٢٦.

إن الشيعة الإمامية الإثني عشرية ليسوا بأصحاب الازدواجية والانتقائية التي يدّعيها عليهم وإنما هم أهل الدليل والحجة، فأينما أخذ بهم الدليل أخذوا معه، وأينما مالت بهم الحجة مالوا معها، والأدلة وإن كانت قائمة على أنّ آية التطهير خاصة بمن نزلت فيهم وهم أصحاب الكساء خاصة، وأنّ مفهوم أهل البيت فيها مصطلح خاص بهم، إلاّ أننا نجد أنّ النبي «صلى الله عليه وآله» أطلق مفهوم أهل البيت على خلفائه الذين أرجع إليهم الأمة من بعده وهم الأئمة الإثنا عشر، وذلك في حديث الثقلين المروي بألفاظ مختلفة منها قوله: (**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله عزّ وجل وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**)[1].

وقال ابن كثير:

(وقد روى النسائي في سننه عن محمد بن المثنى، عن يحيى بن حماد، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال :

لما رجع رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» من حجة الوداع ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال: «كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، ثم قال: «الله مولاي، وأنا مولى كل مؤمن» ثم أخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقلت لزيد سمعته من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم»؟ فقال: ما كان في

(١) المعرفة والتاريخ ١/٥٣٦.

الدوحات أحد إلاّ رآه بعينه، وسمعه بأذنيه) .

ثم قال ابن كثير:

(تفرد به النسائي من هذا الوجه، قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: «وهذا حديث صحيح»)[1].

وقال الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزياداته»:

(«إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض» ، «صحيح»)[2].

وقال محمود شكري الألوسي في كتابه «مختصر التحفة»:

(وههنا فوائد جليلة لها مناسبة مع هذا المقام ، وهي أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» قال: إني تارك فيكم الثقلين فإن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهذا الحديث ثابت عند الفريقين أهل السنة والشيعة)[3].

وقال البوصيري في «اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة»:

(وعن علي بن أبي طالب أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» حضر الشجرة بخم ، ثم خرج آخذاً بيد علي فقال: «ألستم تشهدون أن الله ربكم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وأن الله ورسوله مولاكم؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كان الله ورسوله مولاه فإن هذا مولاه، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن

(١) البداية والنهاية ٥/٢٠٩.
(٢) صحيح الجامع الصغير وزياداته ١/٨٤٢، برقم : ٢٤٥٧.
(٣) مختصر التحفة، صفحة ٥٢.

تضلوا كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم وأهل بيتي» .

قال البوصيري:

(رواه إسحاق بسند صحيح)[1].

وفي هذا الحديث الشريف يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بالتمسك بالكتاب المجيد وأهل بيته «عترته»، وجعل التمسك بهما عاصماً من الضلالة، وقطعاً لا يريد النبي «صلى الله عليه وآله» من أهل بيته في هذا الحديث كل بني هاشم، فهؤلاء كما أن فيهم التقي والورع والملتزم بالشريعة الإسلامية، ومن له حظ من العلم بالكتاب والسنة، فإن فيهم الجاهل والفاسق ومن لا يصلح أن يتمسك به، فكيف يكون إتباع مثل هؤلاء عاصماً من الضلالة وهم لم يعصموا أنفسهم منها، فعلمنا أنه «صلى الله عليه وآله» أراد جماعة خاصة وفئة معينة في قوله: «وعترتي أهل بيتي»، وهم الأئمة الإثنا عشر الذين أخبر عنهم بأنهم خلفاءه من بعده على الأمة إلى قيام الساعة[2].

ففي مسند إمام الحنابلة أحمد بن حنبل روى بسنده عن مسروق أنّه قال:

---

(١) اتحاف الخيرة المهرة ٩/٢٧٩.

(٢) ففي الخبر الصحيح الذي رواه الشيخ الصدوق «رحمه الله» في كتابه معاني الأخبار وكمال الدين وتمام النعمة قال: (حدثنا أحمد بن زياد ابن جعفر «رضي الله عنه»، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن غياث بن إبراهيم، عن الصادق جعفر ابن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين «عليه السلام» قال: سئل أمير المؤمنين «عليه السلام» عن معنى قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إني مخلف فيكم كتاب الله وعترتي» من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حوضه) (معاني الأخبار صفحة ٩١، كمال الدين وتمام النعمة صفحة ٢٤٠).

(كنّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» كم تملك هذه الأمة من خليفة؟

فقال عبد الله بن مسعود: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» فقال: «إثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل»)[1].

وأخرج مسلم بن الحجاج في صحيحه فقال:

(حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر ابن أبي شيبة، قالا: حدثنا حاتم وهو ابن إسماعيل، عن المهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال:

كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيءٍ سمعته من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم»، قال: فكتب إليَّ سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» يوم جمعة، عشيّة رجم الأسلمي يقول: «لا يزال الدّين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»...)[2].

وأخرج أبو يعلى في معجمه فقال:

(حدثنا محمد بن ثعلبة بن سواء، قال: حدثنا محمد بن سواء، عن سعيد، عن قتادة، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال:

كنا جلوساً عند النبي «صلى الله عليه وآله وسلّم» فقال:

(١) مسند أحمد ٤/٢٨، رواية رقم: ٣٧٨١، قال محقق الكتاب الشيخ أحمد محمد شاكر: «إسناده صحيح».
(٢) صحيح مسلم ٣/١٤٥٣ رواية رقم: ١٨٢٢.

«يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيمّاً» ثم همس رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلّم» بكلمة لم اسمعها، قلت لأبي ما الكلمة التي همس بها قال: «كلهم من قريش»[1].

وهم الخلفاء الراشدون الذين أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بالأخذ بسنتهم والعمل بها، وجعلها حجة كسنته فقال:

(فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)[2].

وعليه فإذا كان مفهوم أهل البيت في حديث الثقلين لا يمكن حمله على معناه العام، وأن المراد بأهل البيت فيه كل بني هاشم لما قلناه من أنّ فيهم من ليس أهلاً لأن يتمسك به فلا بد من حمله على معناه الخاص، فيكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أشرك الأئمة التسعة من ولد الحسين «عليهم السلام» مع من نزلت فيهم آية التطهير فأثبت لهم من الطهارة والعصمة ما أثبتته آية التطهير لأصحاب الكساء، يدل على أنّهم «عليهم السلام» جميعاً معصومون حديث الثقلين السالف ذكره، لأن النبي أوجب فيه التمسك بهم، ومن يحتمل معصيته وخطؤه واشتباهه يستحيل أن يأمر الله سبحانه وتعالى بالتمسك به، فلو لم يكونوا معصومين لجاز أن يكون المتمسك بهم ضالاً، وبما أن الأمر النبوي بالتمسك بهم مطلقاً بدون قيد دلّ على هداية من تمسك بهم مطلقاً، ومن كان التمسك به هداية دائماً فهو معصوم.

هذا، مضافاً إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صرّح في حديث الثقلين بعدم افتراقهم عن القرآن الكريم في قوله:

(١) معجم أبي يعلى صفحة ٧٩، رواية رقم: ٦٥.
(٢) المستدرك على الصحيحين ١/١٧٦، رواية رقم: ٣٣٢.

«**ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض**»، وتجويز المعاصي والأخطاء والاشتباه عليهم يعني تجويز افتراقهم عن القرآن.

ويدل عليها أيضاً حديثه «صلى الله عليه وآله» الآمر بالتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين، فقد قرن «صلى الله عليه وآله» في قوله: (**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**) سنّته بسنة الخلفاء الراشدين في حث الأمة على الأخذ بهما جميعاً، فكما أن سنته «صلى الله عليه وآله»- وهي قوله وفعله وتقريره- حجة، فكذلك سنة هؤلاء الخلفاء- قولهم وفعلهم وتقريرهم - حجة كجيّة سنته «صلى الله عليه وآله»، الأمر الذي يدل على أنَّ هؤلاء الخلفاء لا يقعون في فعلهم وقولهم وتقريرهم في خطأ، فهم إذاً معصومون، فحاشا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يحث على الأخذ والعمل بسنة من يعلم أنه يقع في فعله أو قوله أو تقريره في الخطأ ويكون عرضة في كل ذلك إلى مخالفة الشريعة الإسلامية الغراء في أصولها وفروعها وتعاليمها وتوجيهاتها.

ويؤكد هذه الدلالة الأمر منه «صلى الله عليه وآله» للأمة بالعض على سنته وسنة هؤلاء الخلفاء بالنواجذ، فعلمنا من ذلك أنّ سنتهم كسنته «صلى الله عليه وآله» لا يتطرق إليها الخطأ.

ثم إنّ في وصف النبي «صلى الله عليه وآله» لهؤلاء الخلفاء بأنهم مهديون إشعار بعصمتهم أيضاً، فهم مهتدون في أنفسهم هادون لغيرهم ومن كان مهتدياً وهادياً مطلقاً فلا يكون إلاّ معصوماً.

الخلاصة:

إنّ آية التطهير تدل على عصمة أهل البيت المخاطبين فيها

وهم أصحاب الكساء، ودلت أدلة أخرى على أنّ الأئمة التسعة من ولد الحسين «عليهم السلام» معصومون، فدل كل ذلك على أن المراد بأهل البيت في حديث الثقلين هو المعنى الخاص لا العام، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» أدخل التسعة تحت هذا المفهوم بمعناه الخاص لاشتراكهم مع أصحاب الكساء فيما أثبتته أية التطهير لهم، وأنّ النبي حدد المفهوم في الخمسة حين نزول الآية لأنهم المصاديق الموجودة فعلاً لمفهوم أهل البيت فيها، ولو كان الأئمة التسعة موجودين حينها أو بعضهم لأدخلهم تحت الكساء مع من أدخلهم .

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أهم مراجع الكتاب

١-إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تأليف: أحمد ابن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: عادل بن سعد، السيد محمود بن إسماعيل.

٢- أهل البيت، تأليف: توفيق أبو علم، نشر وتوزيع دار مكتبة الأنجلو المصرية ومطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

٣-آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، تأليف الدكتور عبد الهادي الحسيني (الشيخ طه حامد الدليمي)، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٢م.

٤-إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب.

٥- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، تأليف: أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن هبة الله بن عساكر، دار النشر: دار الفكر - دمشق - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد مطيع الحافظ ،وغزوة بدير.

٦- الثقات، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي

البستي، دار النشر: دار الفكر - ١٣٩٥ - ١٩٧٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.

٧- الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣.

٨- الشريعة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، دار النشر: دار الوطن، الرياض، السعودية - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي.

٩- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تأليف: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي دار النشر: مؤسسة الرسالة - لبنان - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط.

١٠- الفصول المهمة، تأليف: علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي، نشر: دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، تحقيق: سامي الغريري.

١١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

١٢- المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبو عبد الله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

١٣- المعجم الأوسط، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

١٤- المعجم الصغير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير.

١٥- المعرفة والتاريخ، تأليف: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، تحقيق: خليل المنصور.

١٦- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تأليف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى : ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، يوسف علي بيدوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزّال.

١٧- الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار النشر: دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى.

١٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر: دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى.

١٩-تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير

الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١.

٢٠- تفسير القرآن، تأليف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار النشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر ابن إبراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم.

٢١- تفسير البغوي، تأليف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة، بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

٢٢- تفسير الطبري، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥.

٢٣- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ زكريا عميران.

٢٤- خصائص الإمام علي، تأليف: أحمد بن شعيب النسائي، نشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، بيروت، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري.

٢٥- خصائص الإمام علي، تأليف: أحمد بن شعيب النسائي تحقيق الداني بن منير آل زهوي، نشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، بيروت.

٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٧- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت،

١٤٠٤، الطبعة: الثالثة.

٢٨- سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين.

٢٩- سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.

٣٠- سير أعلام النبلاء، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي.

٣١- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير، تأليف: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، دار النشر: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، ١٤١٣ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد.

٣٢- شرح مشكل الآثار، تأليف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٣٣- شواهد التنزيل، تأليف الحاكم الحسكاني، نشر مؤسسة الطبع والنشر والتوزيع لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، إيران، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، تحقيق: محمد باقر المحمودي.

٣٤- صحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني،

نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م الطبعة الأولى.

٣٥- صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٣٦- صحيح الجامع الصغير وزياداته، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٧- صحيح شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: حسن بن علي السقاف، نشر: دار الإمام النووي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٨- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٤٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر، بيروت.

٤١- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، تأليف: محمد ابن يوسف الكنجي الشافعي، نشر: دار إحياء ثراث أهل البيت، طهران، إيران، الطبعة الثالثة: ١٤٠٤هـ، تحقيق: محمد هادي الأميني.

٤٢- كمال الدين وتمام النعمة، تأليف: أبو جعفر محمد بن

علي بن الحسين بن بابويه القمي، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٤٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي - القاهرة و بيروت - ١٤٠٧.

٤٤- مسند أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، نشر: دار الحديث بالقاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م الطبعة الأولى ، تحقيق وتعليق : أحمد محمد شاكر، حمزة أحمد الزين .

٤٥- مسند أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين .

٤٦- مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة، تأليف: حسن بن فرحان المالكي، نشر: مركز الدرسات التاريخية، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤٧- معاني الأخبار، تأليف: محمد بن علي بن الحسين الصدوق القمي، نشر :مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ، تحقيق وتصحيح: علي أكبر الغفاري.

٤٨- معتصر من المختصر من مشكل الآثار، تأليف: أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي، دار النشر: عالم الكتب، مكتبة المتنبي، مكتبة سعد الدين - بيروت، القاهرة، دمشق.

٤٩- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء

وذكر مذاهبهم وأخبارهم ، تأليف: أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، دار النشر : مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي.

٥٠- موسوعة أهل البيت، تأليف: السيد علي عاشور، نشر: دار نظير عبّود، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥١- ينابيع المودة، تأليف: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف.

المحتويات

المدخل ٥

هل الآية المعروفة بآية التطهير آية أم جزء من آية؟ ٧

من هم أهل البيت في آية التطهير؟ ١٤

تصريح علماء أهل السنة باختصاص الآية بأصحاب الكساء ٢١

هل تدل آية التطهير على عصمة المخاطبين بها؟ ٣٣

هل نزلت آية التطهير في زوجات النبي؟ ٤٠

مفهوم أهل البيت في آية التطهير مصطلح خاص ٤٧

هل يشمل مفهوم أهل البيت في آية التطهير سائر الأئمة؟ ٤٩

أهم مراجع الكتاب ٥٧

المحتويات ٦٥

آية التطهير

فوق الشبهات

تأليف
حسن عبد الله علي العجمي

دار العلوم
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي
تلفاكس: ٠٠٩٦١١/٥٤٥١٨٢ موبايل: ٠٠٩٦١٣/٤٧٣٩١٩
ص.ب: ٢٤/١٤٠٠
www.daraloloum.com
E.mail:info@daraloloum.com